

مقدمة المترجم

الحمد لله الذي جعل الناس شعوباً وقبائل ليتعارفوا، وجعل اختلاف الألسنة آية من آياته، وحض مخلوقاته على احترام معتقدات بعضهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَأْتِيَنَّ مِنْ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (سورة العنكبوت: الآية ٤٦)، والصلاة والسلام على نبيه محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، الذي أرسله رحمة للعالمين، فهو عولي قبل عصر العولمة، وعولته إنسانية، بيئية، مستدامة، يفتسم الناس فيها الموارد، ولا يخضعون إلا لخالقهم، يؤدون الواجبات، ويدافعون عن الحقوق، وكل ذلك في سياق إنساني تجلّى في التربية التي ربي عليها أصحابه فكانوا خير خلف لخير سلف. وبعد،

هذا كتاب اعتراني في أثناء ترجمته ما سميت في مناسبة أخرى^(١) "شجاعة الخوف"؛ كنت في كل لحظة خائفاً من أن تقصر همتي عن إتمامه، وكانت لدي الشجاعة لمصارحة نفسي بهذا الخوف الإيجابي الذي كان يعيدني في كل مرة لمتابعة

(١) في الندوة التي أقامها النادي الأدبي في الرياض بمناسبة معرض الكتاب الخيري الذي أقامه، وتوقيع كتاب الدكتور عبد العزيز السيل "عروبة اليوم"، وأسعدتني المشاركة فيها إلى جانب الأستاذ الدكتور محيي الدين محاسب، والأستاذ الدكتور أحمد حيزم في ١٤٣١/٦/٢٤ هـ الموافق ٢٠١٠/٦/٧ م.

المهمة. ولعل سبب ذلك التردد والخوف طبيعة الكتاب الموسوعية ؛ إنه كتاب متعدد المداخل ؛ مدخل ديني اقتبس من الكتب المقدسة لدى اليهود والنصارى والمسلمين ، وحلل تلك الاقتباسات ، وبيّن علاقتها بالواقع الذي تعيشه الأمم التي اتخذت من تلك الكتب منارات تهديها سواء السبيل ، ولكنه أيضاً تحدث عن البوذية والهندوسية والكونفوشيوسية وغير ذلك من الفلسفات والديانات ؛ ومدخل أدبي عالج الأعمال الأدبية العظيمة منذ أوديسة هوميروس ومسرحيات أسخيلوس ورائعة سرفانتس... إلخ ؛ ومدخل فلسفي ، عالج كتب أرسطو وأفلاطون وغيرهم من الفلاسفة قديماً وحديثاً ، ولدى أمم كثيرة بعيداً عن المركزية الأوروبية التي نجدها في كتب كثيرة ؛ ومدخل تاريخي ، ومدخل إداري ، ومدخل فني ، وأقصد الفن بكل أشكاله من الرسم إلى الموسيقى إلى فن العمارة ؛ ومدخل رقمي تقني اهتم بالمدونات والنصوص التفاعلية. إن الكتاب ليس كتاباً آخر من الكتب التي تتحدث عن العولمة ، وليس هو ، كما تقول مؤلفته في خاتمته ، علامة من علامات "الكسوف المعرفي" الذي تشهده الساحة العلمية ، ولكنه كتاب يحمل همّاً إنسانياً يحرص على التنمية المستدامة ، وعلى استغلال الموارد استغلالاً مستداماً ، وعلى اقتسام الثروات ، والتعامل مع عناصر الكون الأربعة (الماء ، والهواء ، والتراب ، والطاقة) تعامللاً مستداماً يقوم على احترام البيئة واحترام الإنسان.

كانت ترجمة هذا الكتاب ثمرة من ثمرات ندوة الحوار السعودي - الفرنسي التي انعقدت في الرياض عام ٢٠٠٩م ، والتقيت فيها بالمؤلفة التي قدمت ورقة متميزة في الندوة قالت فيها : "يبدو لي أن مبادرة مضيفنا الملك عبد الله بن عبد العزيز التي ترمي إلى دعم حوار الحضارات ، وإلى نشر ثقافة التفاهم المتبادل بين الأديان قد قطعت اليوم أشواطاً كبيرة في هذا المجال. وآية ذلك أن المقصود منها تشجيع تفاهم أفضل وتقارب أكثر بين الشعوب والأمم ، لحماية القيم الروحية ، وللحفاظ على

الإنسانية وكرامة الإنسان التي تهددها المادية والعولمة، وكل ذلك في فضاء يتم فيه احترام التنوع الثقافي والديني.

تلك هي الالتزامات الأصيلة والمتجددة والمستدامة لندوتنا الفرنسية - السعودية التي تنطلق اليوم في الرياض، وتلك هي الالتزامات التي ارتضيها عندما جئنا إلى هنا".

ويأتي كتابها من هذا المنظور ليقدم أدوات للتحليل، وعناصر للتفكير في المشكلات التي تواجهها الإنسانية في عصر العولمة.

- مؤلفة الكتاب

دومينيك دو كورسيل Dominique de Courcelles: مديرة أبحاث في المركز الوطني للبحث العلمي (CNRS)، وعضو في المجمع الدولي للفلسفة. تدرّس في مدرسة البوليتكنيك (قسم الإنسانيات والعلوم الإنسانية) وفي مجموعة (ماجستير الإدارة والتنمية المستدامة). وهي عضو مراسل في مجمع الآداب الجميلة في برشلونة، وعضو في المجمع الإسباني الأمريكي للعلوم والفنون والآداب في المكسيك. أسست مكتباً للاستشارات الخاصة في المقاربة متعددة الثقافات والتنمية المستدامة للإدارة ولحياة الأعمال، سمته: العولمة المتنوعة للاستشارات Globale Diversité Consulting. من مؤلفاتها الأخرى:

- أوغسطين أو عبقرى أوروبا، باريس، لاتيس، ١٩٩٦م.

Dominique de Courcelles, Augustin ou le génie de l'Europe, Paris, Lattès, 1996.

- تحديات الترجمة

ليست الترجمة فعلاً لغوياً، إنها أيضاً فعل ثقافي، وترجمة هذا الكتاب دليل قاطع، إذا كان قولنا يحتاج إلى تدليل. كنت في كل مراحل الترجمة أعاني في نقل المرجعيات التي تنطلق منها المؤلفة، فهي تكتب عن أشياء مألوفة لديها، ولدى شريحة

كبيرة من قراء اللغة التي كتب بها الكتاب ، ولكنها بالنسبة إلى القارئ العربي طلاسـم وشفرات تحتاج إلى فك وكسر. فك الطلاسـم وكسر التشفير هو التحدي الذي حاولت التصدي له في كل مرحلة من مراحل الترجمة ، كنت أعود إلى ترجمات الأعلام ، وإلى صور اللوحات ، وإلى نسخ الأفلام ، والتصميمات المعمارية أو البصرية لكي يستقيم لي التعبير بالعربية عنها ؛ لأن القارئ العربي ، وإن كان من الطبقة المثقفة ، خالي الذهن من هذه المرجعيات والأحداث التي تعد أساسية لفهم النص. فعلت كل ذلك ، وحاولت فهم المجازات والتلميحات والاقتباسات ، عدت إلى سياقاتها في نصوصها الأصلية ، وأثبت ما هو مترجم منها إلى العربية بنصوصه المترجمة إلا عندما كان يبدو لي أن هناك قصوراً ينبغي ترميمه. ترجمت لكثير من الأعلام الذين تحتاجهم مرجعية الكتاب ووضوح نصه العربي ، ووضعت أرقام صفحات النص الفرنسي في متن الترجمة بين معقوفتين [...] لتسهيل مراجعة الترجمة ودقتها لمن أراد. وذيلت تعاليقي بالهامش بكلمة [المترجم] بين معقوفتين ، وقد علمتني تجربتي في قراءة الكتب المترجمة أهمية أن تكتب أسماء الأعلام الأجانب بلغتها الأصلية ، فكتبتها كذلك عند أول ورود لها ، واكتفيت بعد ذلك بكتابتها بالحروف العربية على نهج واحد ، كما ذكرت عناوين الكتب وأسماء اللوحات والأفلام والتصميمات في هامش الترجمة بلغتها الأصلية ، ولم أتردد في تفسير كل ما ظننت أنه يجعل الكتاب أكثر وضوحاً ، وأقرب ما يمكن إلى روح التعبير العربي والأسلوب العربي. كان الجهد مضاعفاً ، والصعوبات كثيرة ، اعتمدت في حلها ، وفي الترجمة لكثير من الأعلام والأعمال على نصوص الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) ، وأغلب نصوصها بالإنجليزية والفرنسية ، وإن مجرد ترجمة المقبوسات منها يعد عملاً قائماً بمحد ذاته ، كما اعتمدت على مواقع كثيرة أخرى بلغات مختلفة ، ترجمت ما اقتبست منها ، وقدمته في هامش الكتاب ليكون ضوءاً يلقي على النص ، ويأخذ بيد القارئ إلى رحاب الفهم والتمثل. إن هذا الكتاب صورة عن عولة متنوعة الثقافات واللغات والأفكار ، ولعل أكثر ما يطمح إليه مترجمه هو أن يجد الكتاب في يوم من الأيام صدى لدى شريحة واسعة

من قراء العربية، وأن يسهم في نشر فكر إنساني تحاول العولة الاقتصادية واقتصاد السوق ومفاهيم الربحية والمدى القصير أن تجره إلى نهاية لا محمد عقبها. فإن أفلحت الترجمة في فتح كوة يتسرب منها النور فذلك أقصى ما يتمناه مترجمه، وقد قبل التحدي الذي مثلته ترجمته إلى العربية.

ولا بد لي في نهاية هذه المقدمة من أن أشكر لزوجتي الدكتورة رندة سلامة اليافي، أستاذة الموارد البشرية المشاركة في كلية إدارة الأعمال - قسم الإدارة في جامعة الملك سعود، وقد كنت أستاذتها في كثير مما يخص جانب الإدارة، والقانون الدولي، واللغة الإنجليزية؛ كما أشكر لمركز الترجمة في جامعة الملك سعود وللقائمين عليه تعاملهم الاحترافي في شراء حقوق ترجمة هذا الكتاب، ومنح المترجم الوقت اللازم لإنجاز ترجمة تخضع لمقاييس علمية ترقى بالترجمة إلى مصاف الأعمال العلمية الرصينة^(٢). كما أشكر لكلية الآداب وقسم اللغة العربية في الجامعة نفسها توفيرها الأجواء المناسبة لإنجاز أعمال علمية تسهم في النهضة والتطوير والتحديث الذي تشهده الجامعة مع مديرها الأستاذ الدكتور عبد الله بن عبد الرحمن العثمان الذي انتقل بها إلى القرن الحادي والعشرين بهمة الشباب، وحصافة المجرى لتكون في مصاف الجامعات العالمية. والله ولي التوفيق.

أ.د. محمد خير البقاعي

الرياض، الاثنين ٢٢/٧/١٤٣١ هـ

الموافق ٤/٧/٢٠١٠ م

(٢) والشكر موصول للإخوة في الإدارة العامة للنشر العلمي والمطابع، من الذين أسهموا في إخراج هذا الكتاب على خير ما يكون الإخراج ضيقاً وجودة.